

بعد أن استكمل تحشداته واكمل استعداداته وكان هدفه تطويق قوات الانقاذ وابدائها . ويقول المقدم لورتش في كتابه « حرب الاستقلال الاسرائيلية » ان « منطقة القتال كانت مألوفة جدا لقوات الهاغانا ذلك انها كانت لسنوات عديدة قاعدة للتدريب المتقدم لكل قادة الهاغانا من مرتبة آمر فصيل فأعلى . . . وكانت القرى العربية المحيطة بمشمار هي هدف الهجمات المضادة التي بدأت تشنها الهاغانا . . . وشهدت القرى والمعقل الجبلية قتالا مريرا . فقد تعرض أحد تلك المعقل الى (١١) هجوما عربيا متتابعاً ، وفي مواقع أخرى جرى تبادلها بشكل مستمر . ففي الليل كانت الهاغانا تستولي على هذه المواقع وفي النهار كانت قوات الانقاذ تعود للاستيلاء عليها مستفيدة من تفوقها بالمدفعية » (١٢٥) .

متى بدأ الهجوم الصهيوني المضاد ؟ يقول القاوجي انه بدأ في صباح ٩ نيسان بقوة تزيد على ستة آلاف جندي مجهزين بعدد كبير من الهاونات والرشاشات الثقيلة . . . وقد فشل الهجوم واستطاع الانقاذ استعادة مواقعه . . . وبدأ الهجوم المضاد الثاني في صباح ١٢ وتطور القتال الى مجزرة . . . وبدأ الهجوم المضاد الثالث في الساعة الخامسة من صباح ١٣ بقوة ست كتائب مع مدرعات ووصف بالهاونات الثقيلة . . . وشاهد فوزي في ذلك اليوم اول طائرة استطلاع . . . وكان هدف هذه الهجمات تثبيت الانقاذ امام مشمار وتطويقه . . . (مذكرات القاوجي ٤٣ — ٤٤) .

وفيما يقول أو بالانس « ان القتال استغرق كله مدة ستة أيام وانتهى في ١٠ نيسان حين قرر القاوجي فجأة الانسحاب . . . » (١٢٦) نجد ان لورتش يقول « ان القاوجي حاول ان يرغم قوات الهاغانا على التزام موقف دفاعي لحماية المستعمرة حين جرب في ١٢ نيسان ان يعود لمهاجمة مشمار هاعيميك من جديد ولكن جنوده تعرضوا لكمائن اليهود في الادغال المحيطة . . . وعلى هذا فقد وجد القاوجي نفسه مرغماً ، بعد سقوط عدد من القرى العربية ، على التراجع خشية عزله عن قواعده . . . وبدأت قوات الهاغانا تلاحقه . . . واستخدم اليهود في هذه المعركة الطائرات لأول مرة حين اشتركت طائرتا بابير كاب من « سرب الجليل » في عمليات استطلاع واسقاط ذخيرة وقصف مواقع المدفعية . . . » (١٢٧) . ولكن ما هي نتيجة المعركة ؟ القاوجي يقول ان « خسائرننا في كل مراحل المعركة كانت (٢٤) جريحا وستة قتلى بما فيهم النقيب مأمون البيطار وان العدو ترك (٤٥) قتيلاً . . . في حين ان لدى القاوجي تقارير من مصادر انكليزية تشير الى ان اليهود فقدوا (٢٣٠) قتيلاً بما فيهم قائد الهاغانا و (٢١٠) من الجرحى . . . (مذكرات القاوجي : ص ٤٥) .

اما طه الهاشمي فقد طلب من القاوجي انهاءها — كما يقول الاخير في مذكراته ص ٤٧ — لانه رأى فيها معركة استنزافية خاصة وان ما لدى الانقاذ من ذخائر قليل جدا بينما لدى اليهود كميات كبيرة .

هذا ويرى القصري « ان القاوجي خسر هذه المعركة لانه تأخر في شن الهجوم بالرجال بعد ان مهد لهم بقصف المدفعية ولانه قبل تجديد الهدنة واضاع ستة ايام في معركة لا تحتاج اكثر من ثلاث ساعات . وربما كان لا يعتمد على رجاله ويظن ان قنابل المدافع تكفي لوحدها لسقوط المستعمرة . وبهذه الخسارة سيطر اليهود على مرج بن عامر وشددوا الحصار على حيفا واكتشفوا ان المجاهدين لا يتحملون المعارك الطويلة ولا يستمرون امام المواقع التي تثبت امامهم » (١٢٨) .

هذا ويستغرب او بالانس لماذا لم يشدد القاوجي هجومه على المستعمرة ، اذ يرى ان القائد قد يكون واجه صعوبات في فرض التنسيق والانضباط على المجموعات المختلفة من قواته في هذه المرحلة الاولى وان يفرض عليهم العمل المشترك ، وقد يكون وراء ذلك عدم تعوده وقواته على العمليات الواسعة والطويلة المدى التي تتطلب التخطيط والدقة والصبر ، وقد يكون وراء ذلك توقعهم الحصول على نصر سهل رخيص ، ظانين ببساطة